الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها

د. محمد الحبيب بشاري*

الحياة الأدبية في روما

استطاعت روما أن تنتقل ؛ في مدة زمنية قصيرة ؛ من قرية صغيرة في سهل اللاتيوم إلى إمبراطورية واسعة، حيث فرضت على كل شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط سيطرتها العسكرية، ونظامها السياسي و قوانينها ، و بتبنيها سياسة الرومنة نجحت في فرض نمط معيشتها و ثقافتها بما فيها اللغة اللاتينية ، مما سمح ببروز حركة فكرية تمركزت في البداية في روما ومحيطها ثم امتدت إلى المقاطعات الإفريقية التي ساهمت في تنشيط الحركة الأدبية الرومانية، خاصة ما تعلق منها بالأدب المسيحي. كما تميزت هذه الحركة ؛ في البداية ؛ بتقليد مختلف أساليب التعبير التي ابتدعها أو تطورها الإغريق، واستعمال اللغة الإغريقية .

إن هذا الوضع لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما تحرر الرومان من تأثيرات الحضارة الإغريقية، فاعتمدوا على اللغة اللاتينية، وهي لغة الفلاحين البسيطة و المحدودة في نفس الوقت، و رغم ذلك استطاعت في بعض القرون أن ترقى و تتحول إلى لغة الآداب و العلوم . فما هي اللاتينية ؟ وكيف تحولت إلى لغة عالمية ؟ و ما هي مجالات إبداعها و العوامل التي ساعدت على تطور الأدب اللاتيني؟ ومدى مساهمة المقاطعات الإفريقية في هذا المجال؟

---

*أستاذ محاضر قسم التاريخ جامعة الجزائر 2

اللغة اللاتينية و بدايات الإبداع الأدبي لدى الرومان

إن اللغة اللاتينية تنتمي إلى عائلة اللغات الهندأروبية([1])، بحيث استوطنت عدة شعوب في شبه جزيرة إيطاليا ، لكل واحدة لغتها الخاصة ، أهمها لغة الأومبري (Ombrien) التي انتشرت في شمال روما، و الأوسك (Osque) التي سادت في كمبانيا و أبوليا و لوكانيا و السامنيوم، بالإضافة إلى اللاتينية لغة سكان سهل اللاتيوم ، و هي نواة صغيرة وسط بحر من اللغات الإيطالية .

لقد تطورت هذه اللغة اللاتينية تطورا موازيا لتطور القوة الرومانية السياسية و العسكرية والاقتصادية ، حتى أصبحت لغة كل الشعوب الإيطالية ثم اللغة الرسمية و الإدارية للإمبراطورة الرومانية لكن هذه اللغة و نظرا لمحدودية معجمها اللغوي ، الذي انحصر أساسا في المفردات الفلاحية و العسكرية ، دفعت برجال الفكر الرومان ؛ للتعبير عن أفكارهم ؛ إلى اقتباس الكثير من المفردات و المصطلحات من لغات الشعوب التي أخضعتها روما لسلطانها ، استجابة لمتطلبات التطور الذي كانت تشهده الحياة الرومانية . فقد اقتبسوا من اللغة الإتروسكية كل ما تعلق بالمفردات و المصطلحات السياسية و المسرحية، و من اللغة الإغريقية كل ما تعلق بالمفردات الفنية و الثقافية ، و أخيرا من لغات كل الشعوب الأخرى ما لم توفره لهم اللغات السابقة، و لذلك تقسم اللاتينية إلى اللغة اللاتينية العتيقة (حتى القرن الثاني قبل الميلاد) و اللاتينية الكلاسيكية (من القرن الأول قبل الميلادي إلى القرن الأول ميلادي) و أخيرا اللاتينة المتأخرة (ابتداء من القرن الثاني ميلادي) .

و نظرا لطبيعة الشعب الروماني المزارع ، الذي لم يهتم إلا بما يضمن له قوته اليومي ، انحصرت النصوص الأولى التي كتبت باللغة اللاتينية، في بعض الوثائق السياسية و الدينية و القانونية ، منها أرشيف الحكام و القضاة و قوانين اللوحات الإثني عشر و حوليات رجال الدين ، في حين انعدمت النصوص الأدبية .

كما تميزت الكتابات اللاتينية الأولى بطابعها النثري ، خاصة ما تعلق منها بالصلوات و الأغاني الدينية و حفلات النصر ، و مع مرور الوقت تغيرت الأمور ، حيث ظهر ما يمكن اعتباره أدبا شفويا، تمثل

في أغاني المناسبات ، و هو ما اعتبر نقطة البداية لبروز الشعر الحماسي ثم بقية أنواع التعبير الأدبي الأخرى (2) .

نفس الملاحظة تنطبق على أصول المسرح الروماني، فالكثير من المؤرخين يعيدونها إلى أشعار شعبية تعرف باسم "الأشعار الفسقنية" (Versus Fescennini) ، التي كانت تنظم في شكل حوارات، و تنشد في حفلات الزواج و الحصاد ، و يعتبرونها أحد أقدم أنواع الشعر الشعبي الإيطالي ، وذلك بالاعتماد على ما ذكره الشاعر هوراس(3) الذي قال: "...أن الرومان الأوائل فلاحون حيويون، أغنياء بالقليل، أياما بعد جنيهم المحاصيل ، يمنحون أجسادهم و أرواحهم يوم راحة ، احتفالا بانتهاء الأعمال الشاقة ، فمع مساعديهم و أبنائهم و زوجاتهم الوفيات ، يهدّؤون الأرض بذبح خنزير، و الإله سلفانوس(Silvanus) بتقديمهم له الحليب ، و بقية الآلهة بتقديمهم لها الأزهار و الخمر ... "، وانطلاقا من تسميتها أعاد البعض أصل هذه الأشعار إلى مدينة فسكينيوم (Fescinium) الأتروسكية ، و هو ما يؤكده تيتيوس ليفيوس(4) الذي ذكر أنه في سنة 364 ق.م. عرض فنانون أتروسكيون لأول مرة مشاهد موسيقية راقصة في مدينة روما .

في نفس القرن عرف الرومان المسرح الساخر ، الذي قدم في هذه المرة من مدينة أتيلا (Attela) الكمبانية ، لذلك عرف باسم " مسرح أتيلا (Fabulae attellanae) ، و قد تبنى الرومان هذا النوع من التعبير كرد فعل على انتشار المسرح الإغريقي ، و هو عبارة عن مسرحيات هزلية (5) . أما ما يتعلق بأول نص أدبي مكتوب فهو " كتاب الأمثال " للكنسوريوس أبيوس كلاوديوس كايكوس (Appius Claudius Caecus) ، الذي استمده من الأدب الإغريقي (6) .

لقد بقي الإنتاج الأدبي الروماني محدودا ، حتى احتك الرومان بالإغريق و تأثروا بهم خلال حربهم ضد تارنت و بيرهوس ملك إبير (Epire) ، بين سنوات 281 و 273 ق.م. ، و كذلك خلال الحرب البونية الأولى التي دارت رحاها في جزيرة صقلية. لقد نجم عن هذا التأثر إنتاج أدبي متنوع ، تجسّد في أعمال ليفيوس أندرونيكوس (Livius Andronicus)، الذي ألف عدة مسرحيات مستلهمة من الأدب

الإغريقي ، عرضت لأول مرة في روما سنة 240 ق.م.([7]) بالإضافة إلى ترجمته الأديسا لهومروس. و قد كانت أعمال هذا الأديب حافزا للكثير من اللاتين لخوض غمار التأليف الأدبي .

نستنتج مما سبق أن الأدب الروماني مدين للأدب الإغريقي في انطلاقته الأولى ، لكن الأدباء اللاتين ، مهما كان أصلهم ، حتى و إن قلدوا الإغريق ، فإنهم نجحوا و بسرعة في التحرر و إعطاء إنتاجهم صبغة لاتينية أصيلة روحا و لغة([8]) . و قد شمل هذا الإنتاج عدة ألوان، ضمت المسرح و النثر و الشعر و التاريخ و الفلسفة ، بالإضافة إلى الإنتاج العلمي .

أولا : **المسرح**

يعد المسرح أول أشكال التعبير الأدبي اللاتيني ، لاسيما أن الإيطاليين عرفوا منذ زمن طويل عدة أشكال من العروض اختلفت كلية عن التراجيدية و الكوميديا الإغريقيتين،عرفت باسم" ساتورا " (Satura)([9])، و تعني عرض متنوع يشمل الغناء و الحوارات و الرقص و التهريج ، بالإضافة إلى مسرحيات أتيلا المذكورة آنفا ، و هي عبارة عن مسرحيات هزلية مقتبسة من العروض الشعبية الإيطالية الناطقة باللغة الأوسكية(Osque) ، تتناول عادة موضوعا عاما مستمدا من الحياة اليومية لعامة الشعب، و تتميز بأنها لا تعتمد على نصوص مكتوبة يحفظها الممثلون ، إنما على ارتجالهم لمختلف الحوارات على خشبة المسرح . و تبرز أصالة هذا النوع من الفن في اعتماده على أربع شخصيات أساسية ترتدي أقنعة، و هي الغبي ماكوس (Maccus) المهرج الأكول ، و بابوس (Pappus) العجوز الشحيح و الطفيلي بوكو (Bucco) البدين الصغير ، و دوسنوس(Dossenus) الأحدب الذكي .

كانت عروض مسرح أتيلا تتم عادة مباشرة بعد الانتهاء من عرض المسرحيات المقتبسة من الأدب الإغريقي، و يتقاسم أدوارها شباب روماني حر، و يظهر أنها وجدت دعما من المشرع الروماني ويتضح ذلك من اعتبار القوانين الرومانية الممثلين غير جديرين بالاحترام باستثناء ممثلي المسرح الأتيلي([10])

التراجيدية و الكوميديا :

إلى جانب العروض المسرحية الشعبية تبنى الرومان المسرح الإغريقي، و أعطوه صبغة رومانية سواء في مواضيعه أو لغته . ففي مجال التراجيدية ، تأثر الأدباء الرومان بأعمال الإغريق ، و منهم أشيل (Eschyle) و سوفوكل (Sophocle) و أوربيد (Euripide). نفس الشيء بالنسبة للكوميديا التي ظهرت بين القرنين الرابع و الثالث قبل الميلادي، و التي يعد مناندر (Menandre) و فليمون (Philemon) أهم من يمثلها . و إذا تناول النوع الأول مواضيع جادة مثل المواضيع التاريخية و الأسطورية و الدينية ، فقد تميزت الكوميديا بتفضيلها الهزل و الهجاء (Satire). و هي تنقسم إلى نوعين ، تعرف الأولى باسم باليتاي (Palliatae) ، ذات المواضيع و الشخصيات الإغريقية ، أما النوع الثاني فيسمى" توغتاي"(Togatae) ، و هي ذات مواضيع و شخصيات إيطالية ، لكن لم يصلنا إلا نماذج من النوع الأول ، التي أبدع فيها كل من بلاوتوس (Plautus) و ترنسيوس (Terentius)([11]).

1 . بلاوتوس

ولد بلاوتوس (*Titus Maccius Plautus*) سنة 254 ق.م. في عائلة متواضعة كانت تعيش في مدينة سارسينا (Sarsina) بأمبريا (Ombrie) ، انتقل إلى روما ، لما شبّ ، لتعلم اللغتين اللاتينية و الإغريقية . بدأ حياته الفنية كممثل ، ثم انتقل إلى التجارة لكنه أفلس و اضطر إلى العمل في مخبزة، و في هذه المرحلة بدأ في كتابة الشعر، و منها توجه نحو كتابة المسرحيات مستلهما أعماله من المسرح الإغريقي ، الذي اقتبس منه المؤامرات و حبك الدسائس ، لكن للدفاع عن التقاليد الرومانية، حيث استمد كل شخصياته و موضوعاته من الواقع الإيطالي([12])، و هي تضم عادة شخصيات مختلفة ، حيث نجد الشاب المبذر و العاهرة الجميلة و الفتاة المتواضعة و الأب العجوز الصارم و الأم الفظة و الشرسة ، و العبد المبدع ، و تاجر العبيد العنيف ، و عادة تبدأ مسرحياته بتمهيد يقدم من طرف إله أو شخصية رمزية ، تلخص و تشرح المسرحية ، التي تتكون من عدة أشكال من الفن التعبيري ، منها الغناء و الفكاهة بالتورية ، و العمل الهزلي . و قد ألف بلاوتوس عدة مسرحيات، قدرها البعض بحوالي 130 ، لكن لم يصلنا منها إلا القليل ، من بينها "المضيف" (Amphitryon) والقدر (Aulularia) و " الجندي المتبجح " (

Miles gloriosus) و " خنفساء الحبوب"(urculio)، و التاجر"(Mercator) و القرطاجي الصغير" (Poenulus) والأسرى (Captivi).

و بصفة عامة تميزت كتابات بلاوتوس بالانشراح و البعد عن الأخلاق الرومانية المحافظة، إذ كان يهدف بعروضه إمتاع الجمهور فقط ، دون النظر لأي اعتبار آخر ([13]).

2 . ترانسيوس

إلى جانب بلاوتوس برز ترانسيوس (*Publius Terentius Afer*) ، و هو كاتب مسرحي من أصل إفريقي ، ولد في قرطاجة سنة 185 ق.م. ، و نقل كعبد إلى روما أين تعلم اللغتين اللاتينية و الإغريقية ، و مثل بلاوتوس اتخذ الكوميديا الإغريقية الحديثة نموذجا له . و قد عالج في مسرحياته مواضيع التربية و الأسرة و الحرية بأسلوب مهذب ، فقد اعتمد في معالجته المواضيع التي تناولها على اللباقة و تحليل عواطف المشاهدين، عكس بلاوتوس الذي اعتمد على التورية و الوضعيات المضحكة([14]) و ربما هذا ما جعله يصبح محبوب الطبقة الأرستقراطية الرومانية .

لقد كانت أعماله مصدر الإلهام الرئيسي للكوميديا الغربية ، و خاصة الفرنسية و الانجليزية منها حتى القرن التاسع عشر ميلادي، و قد مات ترانسيوس دون الأربعين بعد أن كتب ستة مسرحيات ، أولها " فتاة أندروس " (Andria) ، التي عرضت لأول مرة سنة 166 ق.م. ثم الخص (Eunuchus) ، و جلاد نفسه (Heautontimorumenos) والحماة"(Hecyra) و فوميو(Phormio)، و أخيرا مسرحية الإخوان (Les Adelphes) .

لكن الأمور تغيرت مع نهاية العصر الجمهوري ، إذ باستثناء أعمال سيناك (*Seneque*) ومنها " الأعمال الجلية" (De beneficiis) و" ثبات الحكيم" (De constantia sapientis) و قصر الحياة"، (De brevitate vitae) ، لم يعد الأدباء الرومان يهتمون بالمسرح، و بالتالي يمكن القول أن أواخر عصر الجمهورية يمثل في نفس الوقت نهاية العصر الذهبي للمسرح الروماني . و مع حلول العصر الإمبراطوري توجه الأدباء الرومان و المشاهدون إلى ما يشبه المسرح الغنائي ، و من أبرز ممثليه ديكيوس لابريوس (*Decius Laberius*) و ب. سيروس (*P.Syrus*) ، و هو سوري الأصل .

ثانيا : القصص الملحمية

اكتشف الرومان الملحمة موازاة مع المسرح ، و مرة أخرى يعود الفضل في ذلك إلى ليفييوس أندرونيكوس، الذي ترجم ملحمة الأوديسا لهومروس و قد سار على خطاه ، سنوات بعد ذلك، غنايوس نايفيوس(*Gnaius Naevius*) الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلادي، وألف قصة ملحمية حول الحرب البونية الأولى(Bellum poenum)([15]) التي شارك فيها ، و بذلك اعتبر أول شاعر لاتيني يتناول هذا النوع من الأدب ، كما ألف " ملحمة "البواب"(Figulus)، والعاشقة" (Paelex) .

جاء بعده كتّاب آخرون ألفوا ملاحم أشهرهم كنتوس إنيوس (*Quintus Ennius*)(239-169 ق.م.) الذي ألف ملحمة تاريخية أطلق عليها اسم " الحوليات "(Les annales)، روى فيها تاريخ الرومان بدءا من ميلاد رمولوس و تأسيس روما حتى الحرب البونية الثانية، لكن لم يصلنا من أعمال الشعراء الملحميين إلا شذرات ، و المؤكد أن تأثيرهم في الأجيال التي جاءت بعدهم كبير.

و يعتبر الشاعر فرجيل ([16]) (*Publius Vergilius Maro*) ، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلادي؛ و هي فترة عصيبة من تاريخ روما ؛ بسبب ما شهدته من صراعات و حروب أهلية، وأزمة اقتصادية حادة، من أبرز الشعراء الرومان . تعلم فرجليوس الخطابة و الفلسفة و العلوم في مدن كريمون (Cremone) و ميلانو و روما و نابولي، عاد بعدها إلى موطنه الأصلي في أندس(Andes) قرب مانتو (Mantoue) ، أين ألف ، بعد إلحاح من حاكم المقاطعة قصيدته " غناء الرعاة " أو " غناء راعي البقر" (Ecloga أو Les bucoliques) سنة 39 ق.م. و هي مجموعة من عشر قصائد قصيرة وصف فيها حياة الرعي، وقد طرح فيها مشكلة مصادرة أراضي الملاك لمنحها إلى قدماء المحاربين ، و تكهّن فيها بعودة العصر الذهبي لروما، الذي بدأ في تحقيقه أغسطس.

بين سنوات 36 و 29 ق.م.و بإيعاز من أغسطس ألف فرجيل قصيدته العمل في الأرض(Georgiques)، كدعاية لأيادي أغسطس البيضاء على الفلاحة و الفلاحين([17])، تناول فيها زراعة الحبوب و غراسة الأشجار و تربية الماشية و النحل، في وقت سجلت فيه الزراعة الإيطالية تراجعا خطيرا أضرّ بالمطالب اليومية للمواطنين الرومان ، حتى أصبحت روما في وضع حرج بسبب الحروب الأهلية ، و

تخلي المزارعين عن أراضيهم ، و سيطرة الطبقة الأرستقراطية عليها ، و استغلالها من طرف العبيد ، أو تحويلها إلى مراعي ، و هي دعوة من أغسطس على لسان فرجيل لعودة الإيطاليين إلى الأرض ، و إلى بعث القيم التي كانت سائدة في المجتمع الروماني ، و إلى تضميد الجروح الناجمة عن الحرب الأهلية ، و إعادة النظام و الطمأنينة إلى النفوس([18]) . و قد بلغ فرجيل في هذه القصيدة قمة الإتقان الفني ، مما جعله يعتبر من طرف الرومان أعظم شعراء عصره([19]) .

لم تتوقف عبقرية فرجيل عند هذا الحد بل نجح في كتابة اسمه بأحرف من ذهب في سجل الشعراء الرومان بكتابته ملحمة " الإنياذة "(Aeneis)، التي أمضى في تأليفها إحدى عشر سنة، وهي عبارة عن ملحمة أسطورية تنقسم إلى جزئين ، تناول في الجزء الأول منها تيه إنياس بعد أن نجا من طروادة ليلتحق بسهل اللاتيوم، بينما تناول في الجزء الثاني الحرب التي قادها إنياس من أجل الاستقرار في سهل اللاتيوم . لقد ألف فرجيل هذه الملحمة لمنح روما ملحمة تضاهي الأوديسا و الإلياذة الإغريقيتين ، و كذلك لوضع الأسس الروحية للنظام الذي أسسه أغسطس و المهمة المقدسة التي أوكلت للإمبراطور[20]

النثر و الشعر

بالإضافة إلى الشعر الملحمي ألف الرومان كتبا نثرية ، و ينسب الكثير من المؤرخين و الأدباء تأسيس هذا النوع من الأدب إلى الكنسوريوس كاتو الكبير(*Marcus Porcius Cato*) المعروف Caton le censeur) صاحب كتاب حول تاريخ روما منذ العصور القديمة إلى سنة 150 ق.م.([21]) ، إلى جانب تأليفه عدة خطب سياسية و كتب موجهة لابنه ، بالإضافة إلى كتاب حول الزراعة .

وفي مجال الشعر اخترع الرومان في القرن الثاني قبل الميلادي شكلا جديدا من أشكال التعبير الشعري، وهو ذلك الشعر الساخر الذي عرف باسم الساتورا (Satura)، والذي يعيد الأدباء والمؤرخون تأسيسه إلى جايوس لوكليوس (*Caius Lucilius*)(148/180 ق.م.) ، الذي تميز عن أقرابه بأنه لم يكتب الشعر للدفاع عن حزب أو تيار معين أو التملق لشخصية محددة ، إذ لم يكن ينتمي إلى أي اتجاه سياسي، و يتبع شخصية معينة ، و لا من أجل كسب المال إذ كان ثريا ([22]). و هذا النوع من الشعر هو عبارة عن حوار حر يتناول فيه الشاعر أحداثا مستمدة من الواقع ، يعبر فيها عن آراء أخلاقية بشكل

نقدي لاذع ، فهو لم يرحم أصحاب الثروات و الوطنية المتطرفة. و من بين ما كتبه :"... لكن كل يوم من الصباح إلى المساء، يوم عيد و يوم عمل، و طول النهار، شعب و نواب يتحركون في الساحة العمومية و لا يخرجون منها أبدا ، كل يقوم بدراسة واحدة ، و هي مخادعة الآخرين بعبارات رنانة، والتصدي بالحيل... أخذ هيئة رجل نزيه... كأن الجميع أعداء..."([23]) و قد عرف هذا النوع من الشعر من بعده دفعة قوية على يد هوراس و جوفينال و غيرهم([24]) .

أما هوراس (*Quintus Horatius Flaccus*) فقد عاش في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلادي ، و استقر في روما بعد نهاية الحرب الأهلية التي شارك فيها إلى جانب أنطوان ضد قيصر، و عمل بها كاتبا بسيطا مع مواصلته النضال الذي بدأه خلال الحرب الأهلية ضد أغسطس ، لكن كما يقول بالشعر هذه المرة بدل السيف. و في هذا السياق نظم أشعارا ساخرة هاجم فيها أغسطس. وقد تعرف في هذه الفترة من حياته على مايكناس (*Maecenas*) ، صديق أغسطس و راعي الفن و الأدب و حامي الفنانين و المبدعين ، و يعود له الفضل في حمايته من بطش أغسطس ، كما أهداه مزرعة ، سمح له إنتاجها من العيش في بحبوحة ، و توجيه جهده للإبداع الفني في ظروف مادية جيدة . و قد ألف عدة قصائد منها الهجائية مثل " خواطر"(Saturae)، التي تناول فيها عدة مواضيع اجتماعية و أدبية وسياسية ثم ألف الإيبود (Epodon) ، و بعدها ديوانه " أغاني"(Carmina أو Odes) ، الذي قال بشأنه : "لقد أنجزت هذا العمل العظيم ليعيش أكثر من البرونز و أعلى من الأهرامات الملكية، الذي لا يمكن للأمطار التي تتسرب له ، و لا لرياح الشمال العاتية ، و لا تعاقب السنوات ... أن تحته ، لن أموت كلية ...إنني الأول الذي حرّك أوتار الرباب اللاتيني ..." ([25]) و تبعه بتأليف " الرسالة الشعرية (Epistulae) .

لقد تميز إنتاجه بأسلوب عذب و ساحر ، حتى اعتبر أمير الشعر الغنائي، كما أهلته مواهبه أن يصبح شاعر البلاط بعد اختفاء فرجيل سنة 19 ق.م.([26])

الأشعار القصيرة (Epigrammes)

عرفت روما في العصر الجمهوري؛ إلى جانب أشكال التعبير سالفة الذكر؛ الشعر القصير، الذي قدم من بلاد الإغريق، و قد تطور على يد الشاعر كاتولوس (*C. Valerius Catullus*)(87/54 ق.م.) الذي ترك عند وفاته قصائد قصيرة متنوعة ، بالإضافة إلى قصائد غرامية(Elegie)، و رغم وفاته المبكرة(في سن ثلاثة و ثلاثين سنة) اعتبره معاصروه أمثال أوفيديوس(Ovide) و تيبول(*Tibulle*) ومارسيال (Martial) عالما ، نظرا لإبداعه الفكري ([27]) .

وقد بلغ هذا النوع من الشعر ذروته في العصر الإمبراطوري ، على يد مارسياليس (*Marcus Valerius Martialis*) ، الذي تميزت أشعاره بدقة التعبير و حسن الأسلوب و الأناقة ، مما جعل قصائده تكون مقبولة من طرف النحويين و رجال الكنيسة في نفس الوقت ، و هي مهمة في دراسة المجتمع الروماني في القرن الثاني الميلادي ، حيث تصوره لنا بكل سلبياته و إيجابياته ، و من أشهر أشعاره " المشاهد " (De spectaculus) التي ألفها سنة 80 م. بمناسبة تدشين الإمبراطور تيتوس(Titus) مدرج الكوليزي .

و دائما في مجال الشعر ، لا ننسى الغزل و الرثاء ، اللذان تطورا في العصر الجمهوري على يد عدد من الشعراء أولهم كاتولوس (Catullus)، هذا الشاعر العبقري المتعدد المواهب ، و من بعده برز الشاعر غالوس(*Cornelius Gallus*) و بروبرس (*Properce*)، الذي تغنى بحبه للطبيعة و حياة الريف ، و من بعدهم ظهر أوفيديوس (*P.Ovidius Naso*)(43 ق.م./18 م.) الذي توجه إلى كتابة الشعر بعد أن تولى عدة مناصب إدارية ، و نظرا لموهبته الشعرية قيل أن كل ما يقوله يتحول إلى شعر([28]) . لقد ألف عدة قصائد في الغزل مثل " فن الحب" (Artis amatoriae) ، و في الفلك و الدين والتاريخ، مثل " تحولات الصورة "(Métamorphose) ، و تقويم الأعياد (Fasti).([29]).

وفي هذا المجال أنجبت إفريقيا عددا من الشعراء ؛ لا تزال أعمالهم خالدة إلى اليوم ؛ ساهموا في إبراز قدرة الأفارقة على الإبداع ، و من بينهم الشاعر نيمزيان(*Marcus Aurelius Olympius Nemesianus*) الذي ولد و عاش في القرن الثالث ميلادي بمدينة قرطاجة ، ترك لنا ثلاث قصائد ذات طابع علمي تربوي تتمثل في الصيد (Cynégétique) و الصيد البحري (Les Halieutiques) ، وقصيدة ثالثة بعنوان الملاحة البحرية (La nautique)([30]) .

أما في القرن الخامس فقد برز الشاعر مارسيانوس كابلا(*Martianus Capella*) ، الذي يظهر من عبارة أفار القرطاجي (Afer carthacinensis) التي تتبع اسمه ، و من بعض الأبيات الواردة في قصائده والتي منها " أنت الذي شاهدت مدينة عليسة السعيدة نموه " أنه ولد و عاش في قرطاجة . ترك لنا قصيدة طويلة تتكون من تسعة أجزاء بعنوان " زواج فيلولوجيا و مركور(Les noces de Philologie et de Mercure) تناول في الجزأين الأولين منها زواج فيلولوجيا التي تمثل حب العقل ومركور الذي يمثل الكلمة و العقل، و تقديم مركور إلى زوجته هدية تتمثل في سبع خادمات هن : الفنون السبع ، النحو و الجدلية و الخطابة و الهندسة و الجبر و الموسيقى و علم الفلك ([31]).

و في القرن السادس أنجبت إفريقيا الشاعر كوربوس(*Flavius Cresconius Corippus*) ، الذي ولد بقرطاجة في حوالي 500 م. و انتقل إلى بيزنطة في عهد الإمبراطور جوستنيان ، و هي الفترة التي ألف فيها عدة قصائد أشهرها تلك التي مدح فيها القائد البيزنطي جون تروغليتا (Jean Troglita) بعنوان" الجوهانيد" (Johannide) نسبة إلى القائد البيزنطي ، و هي قصيدة تتكون من ثمانية كتب وتضم 4700 بيت ، نجد فيها انتصارات القائد البيزنطي على المور في إفريقيا . و يعتبر هذا العمل مهم بالنسبة للتأريخ لمنطقة المغرب في القرن السادس لما تورده من معلومات عن المنطقة و سكانها .

التاريخ

إلى جانب القصص الملحمية و الشعر بكل أصنافه ، اهتم الرومان الأوائل ابتداء من منتصف القرن الثالث قبل الميلادي بتسجيل تاريخهم ، و قد جاءت كتابات المؤرخين الأوائل على شكل حوليات ، أي بتسجيل الأحداث حسب تاريخ حدوثها ، و التي احتفظت بها الذاكرة سواء كانت سياسية أو عسكرية أو دينية أو اقتصادية، و حتى طبيعية([32]) ، و في هذا المجال برز مؤرخان رومانيان هما فابيوس بيكتور (*Fabius Pictor*) (254 .201 ق.م.) و كانكيوس ألمنتوس(*Cincius Alimentus*) (240 .190 ق.م.) اللذان عاشا في فترة الحرب البونية الثانية([33]) .

ينحدر فابيوس بيكتور من أسرة فابي (Fabii) إحدى أعرق العائلات الرومانية ، تولى عدة مسؤوليات سياسية ، و شارك في الحرب البونية الثانية، حيث (خاض معركة تراسيمان (Trasimene) ،

التي لقي فيها الرومان هزيمة نكراء على يد الجيش القرطاجي بقيادة حنبعل ، و إثرها ألف كتابه " تاريخ روما " باللغة الإغريقية ، تناول فيه تاريخ روما منذ وصول إنياس إلى إيطاليا حتى عصره ، بغرض الدفاع عن السياسة الرومانية ، و إثارة حماس الرومان في وقت كان الوطن في أمس الحاجة إلى أبنائه ، للتصدي للخطر القرطاجي ، و لهذا يتهمه المؤرخ الإغريقي بولبيوس بالتعصب لروما([34]) ، بينما يعتبره تيتوس ليفيوس([35]) أول مؤرخ روماني . و رغم ما يحتويه كتابه من نقائص ، اعتبر مصدرا للكثير من المؤرخين اللاحقين مثل تيتوس ليفيوس و دنيس هالكارناس و بلوتارخ و بلينوس الكبير .

أما المؤرخ الثاني كنكيوس المانتوس فقد عاش في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلادي ومثل فابيوس بيكتور تولى عدة مسؤوليات سياسية ، فقد كان عضوا في مجلس الشيوخ و بروبرايتور صقلية، وشارك في الحرب البونية الثانية التي أسر فيها ، لكن حنبعل أحسن معاملته و أطلق سراحه و إثرها ألف كتاب" الحوليات " باللغة الإغريقية ، بدأه مع وصول إيناس إلى شبه جزيرة إيطاليا و أنهاه مع الحرب البونية الثانية ، وقد تميز مؤلفه بالدقة في تسلسل الأحداث ، و كان مثل بيكتور يهدف من وراء كتابه إثارة حماس المواطنين الرومان ، و الرد على أنصار قرطاجة ، و هذا ما يجعلنا نعتقد أنه عمل دعائي بعيدا عن التحليل التاريخي .

لكن الأمور تغيرت ابتداء من القرن الثاني قبل الميلادي ، بعد أن أصبحت روما أول قوة سياسية و عسكرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، و لم تعد بحاجة إلى تبرير سياستها تجاه مختلف شعوب العالم المعروف آنذاك ، و هذا ما جعل أهداف كتابة التاريخ الروماني تتغير ، فلم يعد المؤرخون الرومان يتوجهون بكتاباتهم إلى الأجانب بل إلى المواطنين الرومان . كما عرفت كتابة التاريخ تطورا ملحوظا ، فلم تعد تلك الكتابات الجافة التي يكتفي فيها صاحبها بتسجيل الأحداث فقط، بل أصبح المؤرخون يحللون الأحداث و يعلقون عليها ، و الأهم أنها كتبت باللغة اللاتينية ، و أول من جسد ذلك كاتون الكبير(*Caton le censeur*) الذي ألف كتاب " الأصول "(Origines) ، تناول فيه تاريخ روما منذ العهود القديمة إلى سنة 150 ق.م. ([36]) ، و من بين ما ذكره في مجال الكتابة التاريخية :" ما هي الفائدة من التذكير بما يوجد في حوليات رجال الدين ، و أسعار القمح و سنوات القحط و خسوف القمر و كسوف الشمس ..." ([37]) و في القرنين الثاني و الأول قبل الميلادي ظهرت ثلاث فئات من المؤرخين

تتألف الأولى من الذين اهتموا بكتابة تاريخ روما العام منذ نشأتها ، و تتألف المجموعة الثانية من أولئك الذين ألفوا كتبا منوغرافية ، أما الفئة الثالثة فتتكون من أولئك الذين اهتموا بكتابة التراجم .

تضم الفئة الأولى عددا من المؤرخين أبرزهم كوادريجاريوس(*Quintus Claudiu Quadrigarius*) و فالريوس أنتياس (Valerius Antias) و جايوس ليكنيوس ماكر (Macer) ، وقد تميزت أعمالهم بكتابة الحوليات([38]) .

أما الفئة الثانية فتضم كويليوس أنتبار(*Coelius Antipar*) و سمبرونيوس أسليو (*Sempronius Asellio*) و جايوس فانيوس (J. Fannius) ، الذين أدخلوا الدراسات التاريخية عهدا جديدا ، تميزت بدقة لم تعرفها قبل، إذ قام الأول بدراسة الحرب البونية الثانية([39]) ، و قد اعتبره شيشرون أول مؤرخ لاتيني كتب بنزاهة([40]) . و من بعده ارتقى أنتبار بكتابة التاريخ إلى مستوى أعلى، و زادت دراسة التاريخ دقة و أهمية مع سمبرونيوس أسيليو(*sempronius Aselio*)، الذي كتب عن حرب نومانس (Numance) التي قد شارك فيها كتريبيون عسكري ، لكنه لم يكتف بذكر الأحداث مثل سابقيه ، إنما قام بتحليلها و البحث عن أسباها و نتائجها ، و في هذا الشأن كتب "الفرق بين الذين أرادوا التخلي عن الحوليات و الذين تمسكوا بسرد منجزات الشعب الروماني بكل تفاصيلها ، هي أن كتب الحوليات تسرد أحداث الماضي سنة بعد سنة مثل أولئك الذين يكتبون سجلات يومية ... بالنسبة إلينا نعتبر أنه لا يكفي أن نعلم المواطنين ما حدث ، لكن أن نظهر لهم ما هو الهدف من هذه الأعمال ، و ما هي الطريقة التي أنجزت بها ، و كتابة في عهد أي قنصل قامت حرب و في عهد أي قنصل انتهت ...، لا يعد كتابة للتاريخ بل سرد حكايات للأطفال."
من هذا نستنتج أن أسيليو سعى من كتابة التاريخ و شرح الأسباب و النتائج إلى استفادة الإنسان من تجارب من سبقوه([41]) .

أما فانيوس (*Fannius*) أحد قنصلي عام 122ق.م.، فقد كتب عن أحداث النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلادي ، و قد نوه كل من صالوستيوس و شيشرون بالتزامه الصدق فيما كتب([42]).

و في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد دخلت الدراسات التاريخية المنوغرافية مرحلة جديدة من الدقة في التحليل و التعليق على الأحداث، و أول مؤرخ تبنى هذا الاتجاه هو القائد يوليوس

قيصر(*Caius•Iulius•Caesar*) ، الذي نقل لنا حملاته على غالة في كتابه " حرب غالة " (De bello Gallico) ، كما سجل أحداث " الحرب الأهلية " (De bello civili) ، و ليس مستبعدا أن يكون كذلك مؤلف كتاب " حرب الإسكندرية " (Bellum Alexandrinum) ، بينما لم يكتب تاريخ حملته على إفريقية (De bello Africo) و تاريخ حملته على إسبانيا رغم أنهما نسبا له ، و تتميز كتابات قيصر بالوضوح و البساطة([43]) .

أما المؤرخ الثاني الذي فرض نفسه في هذه الفترة ، فهو صالوستيوس (*Caius Sallustius Crispus*)(34/86 ق.م.) ، الذي مارس السياسة في بداية حياته كعضو في مجلس الشيوخ ، ثم حاكما على مقاطعة إفريقيا الجديدة بين سنوات 46 و 45 ق.م. ، و بعد أن اعتزل السياسة انكب على الكتابة التاريخية ، و قد ترك ثلاث مؤلفات تاريخية ، وصلنا منها اثنان كاملان ، هما " حرب يوغرطه" (Bellum juguthinum) ، و " مؤامرة كاتلينا"(De Catilinae coniuratione) ، أما المؤلف الثالث " التواريخ " (Historiae) فلم يصلنا منه إلا بعض الشذرات .

لقد تناول صالوستيوس في مؤلفه "حرب يوغرطه " الصراع الذي خاضه الملك النوميدي يوغرطه للتخلص من الهيمنة الرومانية ، و استغل أحداث هذه الحرب لمهاجمة النبلاء الرومان، و إبراز مدى فسادهم و تعفنهم ، و استعدادهم للتنازل عن مصلحة الوطن و بيع ذممهم من أجل المال و الجاه . و رغم ما يعاب عليه من نقص الدقة في تحديد المواقع و التواريخ و المعلومات العسكرية، يبقى المصدر الوحيد لمرحلة مهمة من تاريخ المغرب القديم بصفة عامة و نوميديا بصفة خاصة ، في صراعها مع روما من أجل التحرر. أما كتاب مؤامرة كاتلينا فقد كتبه لتبرئة يوليوس قيصر من تهمة تدبير مؤامرة كاتلينا التي حاول شيشرون إلصاقها به، و في سياق سعيه لتبرئة قيصر قام بتمحيص العوامل الدفينة التي أفضت إلى قيام أوضاع بالغة السوء تمخضت عنها بروز شخصية كاتلينا ([44]) . أما كتابه الثالث " التواريخ " فقد تناول فيه التاريخ الروماني بين 78 و67 ق.م.

و قد تميزت كتابات صالوستيوس بالوصف النابض بالحياة ، و بإغفاله دور النذر و غيرها من الظواهر الطبيعية في تفسير الأحداث([45]) ، حيث نظر إلى الأحداث و شرحها و حكم عليها من الجانب الأخلاقي ، فبالنسبة له كل الأحداث تجد تفسيرها في عوامل نفسية([46]).

من هذا نستنتج أن صالوستيوس خطا بكتابة التاريخ خطوات كبيرة إلى الأمام ، و ذلك بتخليه عن طريقة الحوليات ، و تبنيه التحليل و النقد للأحداث و أسباب وقوعها و نتائجها ، و قد نجح في إعطاء صورة حية عن الحياة السياسية في روما في منتصف القرن الأول قبل الميلادي ، و ما تميزت به من مؤامرات و دسائس، و هي فترة احتضار الجمهورية الرومانية .

أنجبت روما ؛ بعد صالوستيوس ؛ أحد أكبر مؤرخيها و هو تيتوس ليفيوس (*Titus.Livius*) ، الذي ولد في بادو سنة 60 ق.م.، و قد اختلف عن صالوستيوس ، حيث لم يتول أي منصب سياسي أو عسكري أو إداري ، و كتب تاريخا عاما تناول فيه تاريخ روما منذ نشأتها إلى سنة 9 م. في 42 كتابا لم يصلنا منها إلا 35 فقط . يظهر مما كتبه أنه قصد إبراز عظمة روما ، و ربما هذا ما جعله لا يعتمد إلا على المصادر التي تمجد ها دون غيرها، و رغم ذلك أنتج عملا جيدا من حيث المعلومات و تنظيمها وبأسلوب سلس جعلت قراءته غير مملة([47]).

بعد تيتوس ليفيوس برز المؤرخ تاكتوس(*P.Cornelius Tacitus*) الذي عاش بين 54 و 120 م.

، و يعد من أبرز مؤرخي القرن الأول ميلادي، و هو يختلف عن تيتوس ليفيوس، إذ اعتمد الكتابة المنوغرافية حيث بدأ نشاطه كمؤرخ بتأليف كتاب حياة أغريكولا (De vitae iuli agricolae)، وهو بمثابة رثاء لصهره حاكم مقاطعة بريطانيا،ثم تبعه سنة بعد ذلك بكتاب جرمانيا(De situ ac populi germaniae) و هو دراسة حول أصل الشعوب التي تعيش فيما وراء نهر الراين و جغرافيتهم، ثم ألف كتابا ثالثا بعنوان" التواريخ"(Historiae) ، درس فيه أوضاع الإمبراطورية الرومانية من عهد نيرون إلى عهد دومسيان، و أخيرا جاء كتابه " الحوليات "(Ab excessu divi augusti)، الذي خصصه لفترة حكم الأسرة اليوليوكلاودية من عهد الإمبراطور تيبريوس إلى عهد نيرون([48]). و قد تميزت كتاباته بالتسلسل الزمني للأحداث على نمط الحوليات، و كذلك بالتشاؤم ([49])، و أهم من ذلك كان يتناول الأحداث و يحلل

الأسباب التي دفعت إليها . و قد جاء طرحه للأحداث في عرض درامي يتصارع فيه الإمبراطور و حاشيته من أجل خدمة الوطن من جهة ، و الأنانية و الطمع و المؤامرات التي كانت توجه تصرفات الكثير من المسؤولين من جهة أخرى([50]).

ثم برز الخطيب الإفريقي الأصل ، فلوروس (*Publius Annaeus Florus*) (140/70 م)، صاحب كتاب " مختصر تاريخ الرومان " تناول فيه نشأة روما منذ عهودها الأولى حتى سنة 9 م. ، ومن أشهر ما كتبه أن تاريخ الإمبراطوريات مثل الإنسان ، فهي تمر بعدة مراحل من الولادة إلى الشيخوخة ([51]) .

مؤلفو التراجم

شهدت فترة أواخر عصر الجمهورية بروز فئة من كتّاب تراجم العظماء ، و في مقدمتهم فارون (*M.Terentius Varro*)(27/116 ق.م.) ، الذي ألف كتابا تناول فيه حياة العظماء من الإغريق و الرومان و يقول بلينوس الكبير ([52]) بأن هذا الكتاب زين بسبعمائة صورة للشخصيات التي تكلم عنها . و اقتفى أثره كورنليوس نيبوس (*Cornelius Nepos*) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلادي ، و قد كرس حياته للإنتاج الأدبي([53]) ، هذا الإنتاج الذي ضم عدة مؤلفات ، منها كتاب في تاريخ الإغريق و الرومان (Chronica)، و هو ملخص للتاريخ العالمي ، و آخر يضم مجموعة من النوادر و الأشعار (Exempla) ، و كتاب عن مشاهير الرجال (*De viris illustribus*) مقسم إلى جزأين، واحد مخصص للشخصيات الأجنبية و الآخر للشخصيات الرومانية ، لكن لم يصلنا منه إلا ما تعلق بالقادة العسكريين الأجانب، ومنهم حملقرط و جنبعل القرطاجيين، و ترجمتان لحياة مؤرخين رومانيين هما كاتو و أتيكوس. و في هذا المجال يلاحظ أن كورنيليوس نيبوس لم يكتب إلا عن الشخصيات التي كان معجبا بها ، لهذا غض الطرف عن عيوبها ، و جعل أعماله تتحول من تراجم صادقة إلى إطراء، كما تميز أسلوبه بالركاكة ، و إن اتسم بالوضوح([54]) .

استمرت كتابة التراجم في العصر الإمبراطوري ، و قد برز في القرن الأول الميلادي سويتونيوس(*Caius Suetonius Tranquillus*)(160/75) ، الذي استغل وظيفته كمسؤول عن الأرشيف الإمبراطوري

ليؤلف كتاب " حياة مشاهير الرجال(De viris illustribus) ، تناول فيه حياة الكتاب أمثال ترانسيوس ، لكن لم يصلنا منه إلا بعض الشذرات ، ثم ألف كتاب حياة الإثني عشر قيصرا (De vita duodicum caesarum libri) ، تناول فيه حياة الأباطرة من يوليوس قيصر إلى دومسيان .

الفلسفة

لم يهتم الرومان في بداية تاريخهم بالفلسفة ، و أكثر من ذلك اعتبروها خطرا على المجتمع الروماني ، فهي بالنسبة لهم تدعو إلى العمل الفكري ، مما قد يؤثر سلبا عن توجه الرومان نحو الحياة العملية ، لذلك لم يتردد مجلس الشيوخ في طرد الفلاسفة الإغريق الذين قدموا إلى روما سنة 168 ق.م.، كما منع فتح مدارس في روما لتعليم الفلسفة . لكن في الوقت الذي كان أعضاء الطبقة الأرستقراطية يمنعون أبناء عامة الشعب من دراسة هذا العلم ، كانوا يأتون بالفلاسفة إلى بيوتهم لتعليمهم أياه . و قد تغيرت الأمور بعد استيلائهم على أثينا و استحواذهم على كنوزها العلمية . و من بين المبادئ الفلسفية الإغريقية التي انتشرت في روما ، نجد الرواقية ثم الأبيقورية ، بالإضافة إلى مبادئ الأكاديمية الجديدة.

لقد مال الرومان إلى المبادئ الرواقية أكثر من غيرها من المبادئ الأخرى، خاصة بعد أن نجح الفيلسوف الروديسي بنايسيوس (Panaetius) في التوفيق بين الرواقية و احتياجات رجال الدولة والقادة الرومان ، فقد أبرز أن الحكمة يمكن أن تستمد من الحياة العملية ، و أنزل الحكماء من أبراجهم العاجية([55]) ، ليعنوا بحياة المجتمع ، و يشاركوه عواطفه الإنسانية.

إن تطوير مبادئ الرواقية و تكييفها مع حاجيات المجتمع جعلها تجلب شخصيات رومانية عديدة منها سكيبيو إيمليانوس و الكاهن الأكبر كوينتوس موكيوس سكايفولا ، و شيشرون (*Marcus Tullius Cicero*)(43/106 ق.م.) ، هذا الأخير الذي لم يهتم بالفلسفة لأهميتها ، إنما لتحسين مواهبه الخطابية ، غير أنه في آخر حياته درسها و ألف فيها مرتين ، الأولى تحت ضغط الأزمة السياسية الداخلية ، حين اضطرته سيطرة " الحلفاء الثلاثة" قيصر و بومبي و كراسوس ، إلى أن يجد لنفسه متنفسا للتعبير عن آرائه([56]) ، فوضع كتاب " في الجمهورية " ، ثم كتاب " القوانين " .

لقد جاء كتابه الأول على شكل حوار بين سكيبيو إيمليانوس و ليليوس و مانيليوس فيلوس و ماكيوس سكايفولا سنة 129 ق.م ، حول دستور الجمهورية الرومانية ، و قد اعتبر شيشرون الدستور الروماني نموذجا لنظام يجمع بين الملكية الممثلة في القنصلية و الأرستقراطية الممثلة في مجلس الشيوخ، والديمقراطية الممثلة في المجالس الشعبية([57]).و يرى بعض المؤرخين أن شيشرون تفوق بهذا الكتاب على كتاب" الجمهورية "لأفلاطون و كتاب " السياسة " لأرسطو

أما كتاب " القوانين" فيمكن اعتباره مكملا للكتاب السابق، أبرز فيه شيشرون وجود قانون عالمي أزلي ثابت ، تمشيا مع الحق الإلهي، و بالنسبة له، لا توجد جمهورية غير الجمهورية الرومانية ، ولا قوانين غير قوانين روما. كما نجد كتاب (Tusculanae disputationes)، الذي ألفه في الوقت الذي أصبح فيه يوليوس قيصر سيد روما ، هذا الأخير الذي حسبه قضى على الحرية ، فكره الواقع الذي أصبحت عليه روما ، فانسحب منها و استقر في مسكنه الريفي بتوسكلوم ، و كرّس جهده لدراسة مواضيع فلسفية مثل مفهوم الموت و الألم ([58]) . ثم جاء كتاب حول طبيعة الآلهة (De la nature des dieux) . كما ترك عدة مؤلفات فلسفية أخرى منها " دراسة حول الواجبات " ...الخ.

الواقع أن شيشرون لم يكن فيلسوفا على جانب كبير من الأصالة ، و هو نفسه يقر بذلك في احد خطاباته للأتيكوس([59]) حيث يقول " .. أن بعض مؤلفاته على الأقل ليست إلا نقلا عن غيره ... و أن إسهامه الشخصي لا يتجاوز الكلمات..." ، لكن هذا يعد تواضعا منه لأن تبعيته للإغريق تباينت من موضوع إلى آخر، فهي واضحة في الميتافيزيقا ، لكنها في السياسة ضئيلة جدا . فالفضل يعود له في نقل أفكار أفلاطون النظرية المثالية إلى الواقع الروماني .

و إذا بحثنا عن دور الأفارقة في مجال الفلسفة فإننا نجده محدودا إذا ما قارناه بمجالات الفكر الأخرى ، حيث لم يصلنا إلا اسم الفيلسوف ماكروب(*Flavius Macrobius Ambrosius Theodosius*)، الذي لا نعرف عنه سوى أنه ولد في مدينة سيكا فنيريا(الكاف) في حوالي 370 م.، وأنه تولى مسؤوليات عليا في الإدارة الرومانية ([60])، و قد ترك لنا مؤلفين ، هما "ساتورنال" (Convivi primi

diei saturnaliorum)، و كتاب " تعليق على أحلام سكيبيو(commentarium in ciceronis somnium scipionis)

فن الخطابة

تميزت الحياة السياسية في روما ، خاصة ابتداء من القرن الثاني قبل الميلادي بسعي كل من امتهن السياسة إلى كسب أصوات الشعب ، كما كان مجلس الشيوخ يشهد نقاشات حادة في مختلف المواضيع ، بالإضافة إلى تلك المحاكمات التي شهدتها روما . و لذلك اعتبرت الخطابة فنا رومانيا وطنيا ، سعى الكثير من السياسيين و المحامين إلى اكتسابه ، من أجل التأثير على المستمعين . و قد مرت الخطابة بثلاث مراحل . أما الأولى فقد امتدت من القرون الأولى لنشأة الدولة الرومانية حتى عهد الدكتاتور صيلا ، بدأ فيها الرومان تعلم و التمرس على هذا الفن ، خاصة أن هذه المرحلة تميزت بصراع حاد بين طبقتي العامة و النبلاء،و ما تبعها من تجمعات و إلقاء الخطب في محاولة كل طبقة كسب تأييد الأغلبية، و من أبرز ممثلي هذه المرحلة أبيوس كلوديوس (*Appius Claudius*) ([61])، و تيبريوس جراكوس([62])، وكايوس جراكوس ([63]). ثم جاءت المرحلة الثانية التي امتدت من عهد صيلا إلى فترة حكم أغسطس، و قد أتقن خلالها الرومان فن الخطابة ، إذ أنجبت خلالها روما أعظم خطبائها، و ساعد على ذلك الصراع العنيف الذي شهدته الساحة السياسية الرومانية بين شخصيات لعبت دورا كبيرا في تاريخ روما، و منها الصراع بين صيلا و ماريوس ، ثم بين قيصر و بومبي و أخيرا المرحلة الثالثة التي شملت العصر الإمبراطوري .

إن كل التطورات التي مرت بها روما أعطت إلى فن الخطابة مكانة مرموقة في الأوساط الرومانية و هذا ما ساعد على بروز خطباء من أشهرهم شيشرون ، الذي ظهر في وقت دخلت فيه روما في سلسلة من الصراعات الدموية بين زعمائها ، و قد بدأ حياته الخطابية بمساندته صيلا ضد ماريوس ، ثم بومبي ضد قيصر([64]) .

لقد تعددت مواهب شيشرون ، حتى اعتبر أعظم خطيب في عصره و أشهر كاتب في النثر، ولهذا أطلق مؤرخو الأدب اللاتيني على هذا القرن "عصر شيشرون"([65]) ، و هذا لغزارة إنتاجه و تنوعه. فقد برز في بداية حياته كخطيب بارع ليس نتيجة مواهبه الطبيعية فقط ، إنما كذلك ثمرة لعمله الدءوب

لتحسين مستواه و الارتقاء به إلى أعلى مستوى ، فقد تلقى تكوينه على يد فطاحلة عصره، بالإضافة إلى التدريب اليومي ، و قد بلغ قمته في سنة 70 ق.م. عندما تولى مهمة الدفاع عن سكان جزيرة صقلية ضد حاكم المقاطعة فيراس (Verres) . و قد احتل مكانا وسطا في فن الخطابة بين مبدأ المدرسة الآتيكية البسيط القائم على الإيجاز و الوضوح و استبعاد المحسنات اللفظية ، و مبدأ المدرسة الإغريقية القائم على الجناس و الطباق([66]) ، و من أشهر خطبه (Catilinam) و(Les Philippiques) ، وهذا ما جعل بعض معاصريه يعتبرونه أعظم خطيب ، فكانتليان اعتبره نموذجا في البلاغة ([67]).

وحتى يفيد كل الراغبين في إتقان فن الخطابة ، ألف عدة كتب في هذا المجال منها " فن الخطيب "(De orator) ، و كتاب "بروتوس" (Brutus) ، و " الخطيب "(orator) .

استمر فن الخطابة يجلب الكثير من الأدباء ، حتى و إن لم يبرز نجمهم مثل شيشرون، الذي هيمن على كل من سبقه و من جاء بعده ، و من أبرز الخطباء الذين شهدهم العصر الإمبراطوري، الإفريقي فرانتون(*Marcus Cornelius Fronto*) ابن مدينة كيرتا ([68]) ، الذي سمح له تكوينه ومواهبه أن يصبح عضوا في مجلس الشيوخ في عهد الإمبراطور هادريانوس، ثم قنصلا في عهد أنتونان التقي([69]) . و نظرا لكفاءته الخطابية حمّله الإمبراطور أنتونان التقي مسؤولية تعليم ابنيه ماركوس أورليوس و لوكيوس فاروس . و قد اعتبر من أشهر خطباء عصره و مبدع " الأسلوب الجديد" الذي طغى على أدب عصره ، و هو مزيج من الأسلوب القديم و الأسلوب العامي([70])، و من مؤلفاته التي وصلتنا "أسس التاريخ" و " مدح الدخان و الغبار" و مدح الإهمال ([71]) .

الرواية

إلى جانب ما ذكرناه بقي أن نشير إلى شكل آخر من أشكال التعبير الأدبي الروماني ، قدم من بلاد الإغريق في وقت متأخر نسبيا بالمقارنة مع أشكال التعبير سالفة الذكر ، و هي الرواية التي ظهرت في عصر

الإمبراطور نيرون على يد بيترونيوس أربتار(*Petronius Arbiter*)،الذي كتب رواية ساتركون (Satyricon)، التي لم يصلنا منها إلا بعض الشذرات . و هي تحكي مغامرات أشخاص لا ينتمون إلى الآلهة و لا إلى التاريخ ، مثلما جرت العادة عند الإغريق ، بل إلى مجموعة من الشباب المنحل تركوا المدرسة ، و أخذوا يتسكعون في حانات و موانئ إيطاليا الجنوبية ، و من أشهر أجزائها ذلك الذي يحمل عنوان وليمة تريمالكيون (Festin de Trimalcion) ([72]) ، و هي قصة هزلية صاخبة تصف مأدبة عشاء أقامها غني حديث العهد ([73]) .

أما أشهر الروائيين الرومان على الإطلاق، فهو الإفريقي أبوليوس (*Locius Apuleius*) ابن مدينة مادور(Madaure)(مداوروش) التي ولد بها بين 124 و 125 م. و قد كان في شبابه متعطشا للعلم لذلك درس الخطابة و الشعر و الموسيقى و الهندسة ، لكن كان للفلسفة مكانة خاصة في نفسه ، و في هذا الشأن ذكر في كتابه " الأزاهر"(Les florides) "...هناك كلمة شهيرة لأحد الحكماء تتعلق بالأدب ، يقول فيها القدح الأول للعطش و الثاني للمسرة و الثالث للذة الجسدية و الرابع للهذيان...لقد تعاطيت القدح الأول من عناصر الأدب فرفعني، و تعاطيت القدح الثاني من معلم اللغة فزودني بالمعرفة ، وتعاطيت القدح الثالث من معلم الخطابة و البلاغة ، و عند هذا الحد يتوقف ما يتعاطاه أغلب الناس ، و لكن أنا أفرغت في أثينا أقداحا أخرى ، قدح الشعر الممزوج ، و قدح الهندسة الصافي، و قدح الموسيقى العذب و قدح المنطق الحامض إلى حد ما، و تعاطيت قبل كل شيء قدح رحيق الفلسفة العامة الذي لا ينضب معينه([74])

لقد سمحت له مواهبه أن يكتب في مواضيع متنوعة ، فهو بتأليفه كتاب " التحولات " أو " الحمار الذهبي "(Metamorphose)، يبرز كروائي ، و بكتابه " المرافعة "(Apologie) و الأزاهر(Les florides) يظهر خطيبا بليغا ، بينما أظهرته مؤلفاته الأخرى فيلسوفا . و تعد رواته "التحولات" أو "الحمار الذهبي" أشهر ما ألفه، و هي أول رواية كتبت باللغة اللاتينية تصلنا كاملة ، تتكون من واحد وعشرين كتابا ؛ و يظهر من مقدمتها أن أبوليوس كتبها في شبابه ، حيث يعتذر عن قلة معرفته الجيدة للغة اللاتينية ، التي يرى بعض الباحثين أنها كانت قليلة الانتشار في المناطق الداخلية للمغرب القديم في

ذلك الوقت ؛ و هي قصة شاب يدعى لوكيوس تحول إلى حمار بفعل ساحرة ، عاش إثرها عدة محن بفعل انتقاله من مالك إلى آخر قبل أن يعود إلى صورته البشرية . و قد نجح أبوليوس في أن يعطينا عن طريق هذه الرواية صورة حية عن الحياة اليومية في الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثاني الميلادي ، خاصة الوجه القبيح منها ، كما يظهر لنا اهتمامات و نشاطات مختلف الأوساط الاجتماعية الرومانية .

إلى جانب بروزه كروائي ، أظهرت لنا مرافعته المطولة التي ألقاها أمام الحاكم الروماني كلوديوس ماكسموس(Claudius Maximus) دفاعا عن نفسه من تهمة السحر التي حاول ورثة زوجته بودنتلا(Emilia Pudentella) إلصاقها به لكسب موافقة الزواج به ، خطيبا بارعا ، حيث رد على كل التهم الموجهة إليه ببراعة و ذكاء و سخرية في آن واحد ، و من ردوده على اتهامه بالجمال والبلاغة ، قوله أن الطبيعة هي التي وهبته ذلك اعترافا منها بموهبته .

أما كتاب الأزاهر فقد ضمّنه عدة خطب تبرز قدرته البلاغية([75]) .

الأدب اللاتيني المسيحي

بعد اختفاء فرانتون و أبوليوس خيم على الساحة الأدبية اللاتينية سكون مطبق ، استمر حتى نهاية القرن الثاني ميلادي ، هذه الفترة التي تميزت بانتشار المسيحية في الأراضي الرومانية ، و منها المقاطعات الإفريقية، و ما نتج عن ذلك من احتدام الصراع بين الكنيسة و السلطتين المركزية و الإقليمية هذا الصراع الذي لعب فيه المجادلون الأفارقة دورا فعالا في الدفاع عن المسيحية ، و شرحها للمجتمع الوثني عن طريق خطبهم و مؤلفاتهم ، مكونين بذلك الأدب المسيحي اللاتيني ، الذي هيمن عليه المفكرون الأفارقة و أولهم ترتليانوس(*Quintus Septimius Florens Tertullianus*) ، ثم مينوكيوس فليكس و كبريانوس و غيرهم .

ترتليانوس :

ولد في قرطاجة بين 150 و 160 ميلادي في عائلة وثنية ، و بعد أن درس القانون و البلاغة و الأدب و الفنون و الطب ، امتهن المحاماة و تدريس البلاغة ، و كان بإمكانه أن يصبح محاميا لامعا أو

سياسيا كبيرا ، لكنه اختار اعتناق المسيحية في نهاية القرن الثاني (بين 185 و 195 م.) ، في وقت اشتد فيه اضطهاد السلطة للمسيحيين([76]) . فسخّر كل طاقته و كفاءته للدفاع عن المسيحية و المسيحيين ، فكتب الكثير من المؤلفات في هذا الاتجاه وصلنا منها واحد و ثلاثون ، دافع في بعضها عن المسيحيين وأظهر بطلان التهم الموجهة إليهم من طرف السلطة الوثنية، باعتبارهم سبب الكوارث التي لحقت بروما، و منها كتاب " الدفاع عن الديانة المسيحية "(Apologeticum)، و كتاب" للأمم "(Ad nationes) أبرز فيهما مدى مصداقية الديانة المسيحية ، و في نفس الوقت سخر فيهما من الوثنيين و أساطيرهم و آلهتهم و قوانينهم([77]) ، كما دعاهم إلى المحبة و التآخي مع بقية البشر بقوله :" نحن إخوانكم بحكم الطبيعة " ([78]) و لنفس الغرض كتب عدة مؤلفات منها " الروح "(De animae) و (Ad Scapulam) ، هذا الأخير الذي هاجم فيه سكابولا حاكم مقاطعة إفريقية البروقنصلية بسبب اضطهاده للمسيحيين .

لم يهاجم ترتليانوس الوثنيين فقط ، إذ نجده ؛ في مؤلفات أخرى ؛ هاجم الهراطقة و منها كتاب " ضد فالنتيوس "(Adversus Valentinianus) و كتاب " ضد ماركيون(Adversus Marcionem) ، و " ضد هرموجان" (Adversus Hermogenem) ، الذي اتهمه بالهذيان و الوقاحة إذ قال فيه "كان يخلط بين الفصاحة و الهذيان و بين الوقاحة و الحزم"([79]) . كما خص اليهود بكتاب " ضد اليهود "(Adversus judaeos) انتقدهم فيه نقدا لاذعا، و اتهمهم بإثارة الفتن و الأحقاد بين الوثنيين و قيامهم بحرب غير معلنة على المسيحيين ، و تحريضهم السلطة و الوثنيين عليهم([80]) .

كما خاطب المجادل الإفريقي المسيحيين و حثهم على التحلي بالأخلاق الفاضلة ، و الحرص على ضبط النفس و العفة، و نصح النساء بعدم التبرج ، و من هذه المؤلفات " الشهداء "(Ad martyras) و الصبر "(De patienta) و " إلى زوجتي " (Ad uxorem) و " زينة النساء (De cultu feminarum) ووشاح العذارى"(De virginibus) ، إلى جانب ترجمته الكتاب المقدس " العهد الجديد " (Le nouveau testament) لأول مرة إلى اللغة اللاتينية ، كما يعد أحد واضعي علم اللاهوت .

و بصفة عامة تنقسم أعمال ترتليانوس إلى مجموعتين ، الأولى عندما كان في كنف الكنيسة الكاتوليكية ، و الثانية عندما اعتنق المذهب المونتاني في حوالي 207 م. و تميزت كتاباته في المرحلة الأخيرة بمهاجمته الكاتوليك .

لكن أهم أعمال ترتليانوس على الإطلاق كتابه " دفاع عن الديانة المسيحية" (Apologeticum) الذي كتبه بين 198 و 199 م. و هو موجه للساسة الرومان و الطبقة المثقفة الرومانية ، للرد على تهمهم الموجهة ضد المسيحيين ، و مستنكرا الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له بتهم خيالية([81]) ، و تقديمه للديانة المسيحية بكل مكوناتها ، و للسخرية من الديانة الوثنية ([82]).

لقد تميز أسلوب ترتليانوس بالحيوية و الانسجام مع أفكاره ، أما المفردات المستعملة فهي غنية استمدها من مصادر مختلفة ، إذ كان يركز على إيصال أفكاره بغض النظر عن المصطلحات التي يستعملها، إن كانت قديمة أو قليلة التداول ، أو تعبيرا شائعا مبتذلا ، كما لم يكن يعجزه فقر اللغة اللاتينية حيث إذا لم يجد الكلمة المناسبة للتعبير عن آراءه ، لا يتردد في استعمال مفردات يونانية ، و إذا لم يجد ما يفي بالغرض المطلوب يبتكر كلمات مناسبة ، مثل ابتكاره عبارة " الثالوث الأقدس " (Trinitas) . أما منهجيته فكانت ثابتة و خطواته واضحة و معلوماته غزيرة ، تتدفق من خيال عبقري إفريقي يعجز الإنسان عن ترجمتها ، و هو يمزج بين الجد و التهكم ، إنه الرجل الذي لا يطلب الرحمة من جلاده ، بل يسخر منه "([83]) .

يبرز ترتليانوس من كل مؤلفاته حماسه و اندفاعه المفرط في الدفاع عن أفكاره ، فكلما أدرك حقيقة إلا و اندفع وراءها بكل جوارحه من دون مجاملة ، فهو على حد تعبير شارل أندري جوليان([84]): " بربري متنصر ، و لكنه لم يزل محتفظا . إلى جانب ما انطبع فيه من روح المسيحية . بأهواء البربري و صلابته و نفوره من النظام . و هو ما يتجلى من نقده اللاذع للمسيحية الكاتوليكية لما اعتنق المونتانية

مينوكيوس فليكس

في نفس الوقت الذي برز فيه ترتليانوس ، ظهر مفكر مسيحي آخر ، هو مينوكيوس فليكس ، و يستنتج مما كتبه أنه إفريقي الأصل ، فقد ذكر في أكثر من موقع إفريقيا و ماضيها و آلهتها . ألف كتاب

" أوكتافيوس (Octavius) ، دافع فيه عن المسيحية ، و تصدى بقلمه لاضطهاد المسيحيين ، لكن بأسلوب مغاير لأسلوب ترتليانوس ، إذ تميز بالهدوء ، و قد جاء كتابه على شكل حوار بين شخص مسيحي يدعى أوكتافيوس جنواريوس (Octavius Januarius) و قاض وثني هو كايكليوس نتاليس (Caecilius Natalis) في مدينة أوستيا ، لعب فيه الكاتب دور الحكم بينهما ، و انتهى الحوار باقتناع الوثني بمبادئ الديانة المسيحية .

إن هذا الكتاب يشبه في طريقة تقديم البراهين ما كتبه تلتليانوس في كتاب " دفاع عن الديانة المسيحية " ، و لهذا اعتقد البعض أن هذا الأخير اقتبس أفكاره من كتاب فليكس مينوكيوس ، بينما يرى البعض الآخر العكس([85]).

القديس كبريانوس

برزت في منتصف القرن الثالث ميلادي شخصية مسيحية أخرى ، كان لها دور فعال في نشر و ترسيخ المسيحية في إفريقيا و في كل غرب الإمبراطورية الرومانية ، و هي شخصية القديس كبريانوس (*Caecilius Cyprianus Thascius*)، الذي ولد في نهاية القرن الثاني ، أو بداية القرن الثالث ميلادي بمدينة قرطاجة([86]) في عائلة أرستقراطية وثنية ، و في سنة 245 م. تنصّر، و كان عمره آنذاك أربعين عاما . و نظرا لثقافته الواسعة أصبح بين نهاية سنة 248 م. و بداية 249 م. أسقف قرطاجة ، و هو أعلى منصب في إفريقيا و الثاني في العالم الروماني الغربي بعد أسقف روما، و قد تزامن ذلك مع بداية حملة اضطهاد الإمبراطور دكيوس (Decius) للمسيحيين ، هذه الحملة التي توقفت في نهاية سنة 251 م. لتتجدد مع الإمبراطور فاليريان (Valerien) سنة 257 م. ، و هو الاضطهاد الذي انتهى بإعدام القديس كبريانوس سنة 258 م.

كان الأسقف الإفريقي متحمسا للديانة المسيحية ، و لذلك سخّر قلمه لخدمتها و وحدتها وفي هذا السياق ألف كتابه " وحدة الكنيسة "(De catholicae ecclesiae unitate) ، بعد دخوله في صراع مع أسقف روما .

و بقدر ما كان ترتليانوس ثائرا عنيفا مع الوثنيين ، كان كبريانوس هادئا ، حتى أن القديس جيروم (Saint Jerome) قال فيه: " السعيد كبريانوس كان مثل نبع صاف([87])، أما لاكتانس(Lactance) و هو أحد زعماء المسيحية في إفريقيا ، فقد كتب : " كان يملك روحا بسيطة ، و أسلوبه غني و عذب و واضح ، مما مكّنه من اعتلاء مرتبة مرموقة بين الأدباء ، و روعة بلاغته وتوفيقه في شروحاته جعلته مقنعا في خطاباته " ([88]) .

لقد ترك كبريانوس عددا من الرسائل و الكتب منها : " رسالة إلى دونات "(d donatum) الذي يعّد من أروع مؤلفاته في البلاغة المسيحية([89]).، إلى جانب مؤلفات أخرى منها " تفاهة الأصنام (De idolorum vanitate) ، فضح فيه عادات الوثنيين ، و كتاب " سلوك العذارى "(De habitu virginum) ، و هو موجه إلى العذارى اللواتي وهبن حياتهن لخدمة الله ، و كان بمثابة صدى لكتاب ترتليانوس " وشاح العذارى"([90]).

و يظهر أنه ؛ رغم الاختلاف في الأسلوب ؛ كان لترتليانوس تأثير على كبريانوس و يتجلى ذلك في مؤلفاته التي تشبه إلى حد كبير ما كتبه ترتليانوس في مواضيع الصلاة و الصبر و الشهداء .

لم يتوقف عطاء الأفارقة في مجال الأدب المسيحي عند هذا الحد ، ففي القرن الرابع ظهرت شخصية أرنوب (*Arnobius*) ابن سيكا فنيريا(Sicca Veneria)(الكاف) (327/260 م.)، صاحب كتاب "ضد الوثنيين " (Adversus nationes) ([91]) الذي دافع فيه عن المسيحية والمسيحيين، ودحض تهم الوثنيين الذين حملوا المسيحيين المسؤولية في كل الكوارث التي لحقت بالإمبراطورية الرومانية ، كما أبرز عظمة الله و تفاهة الآلهة . و قد امتازت نظرته للمجتمع بالتشاؤم إذ قال في الإنسان :" إنه مخلوق بائس و سيئ ، يتحسر و يكره وضعيته، و يشتكي ، يقضي وقته يبكي، ويكذب و يضرب و ينشر الخراب "([92])، و على نحو فرانتون و أبوليوس ، تكلم عن إفريقية موطنه و أشاد بخيرات نوميديا و موريطانيا الزراعية([93])، كما مجد قرطاجة و جنبعل الذي أثار الرعب في روما([94]) ، هذه الأخيرة التي قال بشأنها " جاءت روما للقضاء على سلالة البشر([95]) .

و واصل تلميذه لاكتانس (*L.C.F.Lactantius*) الإفريقي الأصل بدوره مسؤولية الدفاع عن المسيحية ، و في هذا الشأن ألف كتاب " المؤسسات الإلهية " (Divinae institutiones)، انتقد فيه الوثنية و أبرز قواعد المسيحية، و نظرا لمهارته الخطابية و البلاغية لقب بشيشرون المسيحي و كذلك " المسيحي الجامعي " و " أول رجل أدب مسيحي ". و قد هاجم في كتابه " موت المضطهدين "(De mortibus persecutorum) مضطهدي المسيحيين ([96])

القديس أوغسطين

بقي أن نذكر في الأخير أعظم مفكر و كاتب مسيحي عرفه العالم و أحد آباء الكنيسة ، و هو القديس أوغسطين(*Saint Augustin*) إفريقي المولد و النشأة ، حيث ولد في مدينة تاغست(Thagaste) (سوق أهراس) سنة 354 م. من أب وثني و أم مسيحية . تردد في أول حياته على مدارس مسقط رأسه ثم انتقل إلى مدينة مداوروش و منها توجه إلى مدينة قرطاجة ، و أنهى دراسته في مدينة ميلانو أين تعلم البلاغة و الخطابة .

بدأ حياته وثنيا حيث كان يمضي وقته في اللهو و المجون ، و حتى يتخلص من الفراغ الروحي الذي كان يعيش فيه اعتنق المانوية (Manicheisme) ([97]) ظنا منه أنها ستنير له الطريق و تكشف له الحقيقة ([98]) ، لكن لم يجد فيها مبتغاه فهي لم تخرجه من حيرته ولم تجبه عن تساؤلاته حول المغزى من الحياة و الموت و في هذا الشأن كتب فيما بعد :" ... كنت أعتقد أنه تحت غلاف العبارات الجميلة يوجد شيء خفي سينكشف لي في يوم من الأيام ..." ([99]) لذلك تخلى عنها و توجه إلى الاحتمالية لكنه لم يجد فيها ما يشفي غليله ، فانهمك يدرس الإفلاطونية التي قادته إلى المسيحية سنة 387 م. تحت تأثير القديس أمبرواز أسقف ميلانو. و نظرا لإرادته القوية و حماسه الفياض و لطفه و حدة نظره و موهبته الخطابية و دفاعه المستميت عن الكاتوليكية ، ارتقى في المسؤوليات حتى عين سنة 395 م. أسقفا لمدينة هيبون .

لقد تزامن اعتناقه المسيحية مع انتشار الكثير من البدع و النحل ، فسخّر كل خصاله و مواهبه للتصدي لها و ترسيخ المسيحية الكاتوليكية ، و هذا ما جعله يبرز كمجادل عنيد ، فواجه المانوية معتمدا على الإقناع و الصبر ، حيث يقول و هو يخاطب المانويين :" إن القاسين معكم هم الذين يجهلون معاناة

الوصول إلى الحقيقة ، و كم هو صعب تجنب الأخطاء ... يجب أن أكون صبورا معكم مثلما كانوا صبورين معي لما كنت أومن بعقيدتكم ..." ([100]) . كما تصدى للحركة الدوناتية معتمدا على الحوار و الإقناع في البداية ، لكن لما يئس من عودتهم إلى الكنيسة الكاتوليكية أثار عليهم السلطة ، حيث تبنى مبدأ خطيرا تمثل في " الإرهاب المجد " تقوم به السلطة لإجبار الدوناتيين على العودة إلى أحضان الكنيسة الكاتوليكية مبررا ذلك بقول المسيح " ادفعوهم إلى دين الله دفعا " ([101]).

و بصفة عامة ترك القديس أغسطين إرثا أدبيا مسيحيا ضخما يقدر بحوالي 1030 بين كتب و رسائل و خطب ([102]) ، من أهمها " مدينة الله "(Civitas dei)، و هو بمثابة فلسفة مسيحية للتاريخ . فقد كان القديس أغسطين يهدف من هذا الكتاب أن يوضح للمسيحيين كيف يمكنهم رؤية أعظم حدث دنوي وقع في ذلك العصر ، و هو انهيار سلطة روما في الغرب على يد ألاريك (Alaric) . كما هاجم كل المبادئ التي بني عليها التاريخ في القديم ، و قارن فيه بين مدينة الله و مدن العالم ، و أن هذه الأخيرة كثيرة ، و لا ينبغي أن نمنحها ولاءنا ، لأن مآلها جميعا الزوال ، عكس مدينة الله التي لا تزول([103]) ، و كذلك كتاب " اعترافات " الذي يعد من أروع السير الذاتية و الروحية التي كتبت بقلم صاحبها([104]) ، اعترف فيه بخطاياه ، و أبرز أن الإنسان الذي يعتمد على قواه الذاتية يقع في الخطأ ، و بذلك جاء هذا الكتاب تمجيدا للذات الإلهية ([105]) ، و قد امتاز أسلوبه بالسلاسة . إلى جانب هذين الكتابين ترك أغسطين عشرات المؤلفات و الرسائل و هذا ما جعله يعتبر أكبر عالم في اللاهوت في الغرب المسيحي.([106])

الهوامش:

---

[1]) تطلق هذه التسمية على مجمةعة اللغات التي تتشابه فيما بينها من حيث التركيب و المفردات، مما يعني أنها تتفرع من أصل واحد ففي آسيا نجد اللغات الحثية و اللغة الهندية و الفارسية ، و في أروبا نجد اللغات الايطالية و الإغريقية و السلتية و الجرمانية و السلافية ، Catherine (C),L'antiquité romaine des origines à la chute de l'empire , edit. Larousse , Paris , 1993, p, 223

2) إبراهيم نصحي ، تاريخ الرومان ، الجزء الأول، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1978 ، ص، 227

3 (trad. Leconte de Lisle , Paris, 1911 Horace , Epitres , II, 1, 139,

4 (, trad. M.M.Corpet-Verger , pessonneaux, Paris, Garnier, 1904 Tite Live , Histoire romaine, VII, 2

(5Albert (P) , Histoire de la littérature romaine , t., I, edit. C. Delagrave , Paris, 1871, livre,II, 2,2

(6 Ibid, livre , I, 3 , 2 هو إغريقي جلب إلى روما بعد الاستيلاء على مدينة تارنت ثم أعتق (*,

Salles ©, op cit, p, 228

7 (Salles (C), op cit, p, 225

8 (Ibid

9 (Ibid

10 (Albert (P) , op cit, livre II , 2, 2

11 (Salles (C) , op cit, p, 227

12 (Grimal (P) , La civilisation romaine ,Edition Arthaud, Paris, 1984 , p., 155

13) الشيخ (حسين) ، الرومان ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، دون تاريخ ، ص، 336

14) نفسه ، ص، 337

15) نصحي (ابراهيم) ، ص، 416

(16 Salles (C), Ibid, p., 228

17) سيد أحمد على الناصري ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري ، القاهرة 1975 ، ص، 86

18 (Grimal P) , op cit, p., 160

19 (Cabaret Dupaty (Th) ,Œuvres complètes de Virgile , edit., Hachette ,Paris, 1873 , Preface ; Salles (C) , op cit, 231

20 (Grimal (P) , loc cit, ; Salles (C) , op cit, p., 232

21) نصحي (ابراهيم) ، ص، 416 ؛ Salles (C) , op cit, p., 228

22 (Albert (P) , op cit, livre II, 2 , 1

23 (Ibid ,

24 5 Grimal(P), La civilisation romaine, p., 15

25 (Albert (P) , op cit, livre III, 3, 1

26) سيد أحمد على الناصري ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية ...ص، 88

27 (Albert (P) , op cit, livre II, 3,1

28 (Seneque le Rhéteur,.contreversus. II, 1, trad. H.Bornecque , 1932

29) سيد أحمد على الناصري ، المرجع السابق ، ص، 89

30 (Stace, Martial , Manilius …Nemisien, œuvres complètes avec traduction , publiées sous la direction de M.Nisard, Paris, 1842, p, 795

31 (Les noces de Philologie et de Mercure, texte établi , traduit par Michel Ferré, edit. Les belles lettres, Paris, 2007

32 (Ciceron , De oratio, II, 53 , trad. M.Nisard, Paris, 1840 ; Poucet (J), Les origines de Rome , tradition et histoire, Bruxelles, 1985, pp, 247/48

33 (Albert (P) , op cit, livre II, 4, 1

34 (Polybe , Histoire romaine , I, 1, 14, trad. P.Waltz, Paris, Garnier, 1921

35 (Tite Live , Histoire romaine , I, 44 , trad.M.Nisard , Paris, 1834

36) إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص،416

37 (Albert (P) , loc cit

38) إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص،492

[39] (De Bayer(M.J.B) , Histoire de l'esprit humain , Berlin , 1767, p., 24_25

[40] (Ciceron , De orator, lib , 2

[41] (Fornara(C.W.), The nature of history edit. University of California Press, 1988, p., 69

[42] (نصحي (إبراهيم) ، المرجع السابق الجزء الثاني ، ص، 793

[43] (نفسه، صص، 799/798 ؛ Mommsen (T) , Histoire romaine, trad. L.A. Alexander , edit.Laffont, Paris, 1985 , p., 485 ; Albert (P) , op cit, livre II, 4, 2

[44] (نصحي (ابراهيم) ، المرجع السابق ، ص، 795

[45] (نفسه ، ص، 793

[46] (Jal (P) , Rome et nous ,edit.A.J.Picard, Paris, 1977, p., 123

[47] (Ibid, pp., 126/127

[48] (Salles (C) , op cit, p, 236

[49] (Alain (Michel) , dans Rome et nous, pp., 188/89

[50] (Grimal (P) , op cit, p., 169

[51] (Salles (C) , op cit, p., 196

[52] (Pline l'ancien , H.N., XXXV, 11, trad. E. Littré , Paris, 1877

[53] (نصحي(ابراهيم) ، المرجع السابق، ص،801

[54] (نفسه ، ص ، 802

[55] (نصحي (إبراهيم) ، المرجع السابق ، ص، 803 ؛ Albert (P) , op cit, livre II, 5,6

[56] (نفسه ، ص، 806

[57] (Albert (P) , loc cit

[58] (Ibid

[59] (Ad Atticus , XII, 52, 3, trad.M.Nisard, Paris, 1841

[60] (Cameron (A), The date and identity of Macrobius , Journal of roman studies ,(16) , 1966, p, 25

[61] (Plutarque , Vie de Pyrrhus , 19, trad. D.Richard , Paris, 1868

[62] (, trad. Abbé Dominique Ricard , Paris, 1883 Ibid, Vie de T. Gracchus, 2

[63] (Ciceron , Brutus , 33 , trad. Fr.Richard , Paris, 1934

[64] (Ciceron , Verres , act II , trad.P.C.B.Gueroult et G.Lamothe, Paris, Hatier, 1924

[65] (Mommsen (T) , op cit, p., 488 . Salles (C) , op cit, p., 230

[66] (نصحي(إبراهيم) ، المرجع السابق ، ص، 780

[67] (Quintellien , Institution oratoire , VIII, 2-3, dans Quintillien et Pline le jeune , trad. M.Nisard, Paris, 1880 ; Grimal ((P) , op cit, p, 157

[68] (Albertini (E) , L'Afrique romaine , edit., beaux arts , 1955 , p. 95

[69] (Monceau (P) , Les africains , étude sur la littérature latine d'Afrique , Paris, 1894 , p., 218

[70] (دودلي (د.ر.) حضارة روما ، ترجمة جميل يواقيم الذهبي و فاروق فريد ، القاهرة ، 1979 ، ص ، 369

[71] (Bardenhawer (O) ,Les pères de l'église , leur vie et leur œuvres , t., 1 ,Paris, 1905 , p., **281**

[72] (Grimal (P) , op cit, p., 168

[73] (دودلي (د.ر.) ، المرجع السابق ، ص، 365

[74] (, trad. V.Betolaud, œuvres completes d'Apulée , t, II, Paris, 1836 Apulée , Les florides, 20

75 (Histoire romaine , livre VI, trad. Cagnat (R) , Paris, 1985, p., 959 Mommsen (T)
76 (Spanneut (M) , Tertullien et les 1° moralistes africains , Lilles , 1969 , p., IX ; Badel (C) , L'empire romain au 3° siècle ap.J.C., edit., Seds , 1998 , p. 288

77 (, trad.J.A.C. Buchon, Paris, 1882 Tertullien , Apologie , I, 1,6
78 (Ibid, XXXIX, 8
79) شارل اندري جوليان ، تاريخ شمال إفريقيا ، ترجمة محمد مزالي و البشير سلامة ، ص، 259
80) الحويري (محمد) رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ، القاهرة ، 1981 ، صص، 47/45
81 Tertullien , op cit., II, 2-3 ; 9
82 (Ibid , X, 5-11 ; XI, 1-3 ; XXVIII, 1-2
83 (Genoude (E. A) , Tertullien , Œuvres 1 , Vie de Tertullien ,Paris, 1852, p., 2
84) جوليان (شارل أندري) ، المرجع السابق ، ص، 258
85) جوليان (شارل أندري) ، تاريخ شمال إفريقيا ، ص،263
86 (Fantar (M) , Decret (F) , L'Afrique du nord dans l'antiquité, edit.Payot, Paris, 1998, p., 287
87 (Bardewhawer (O) , op cit, p., 360
88 (Ibid, p., 361
89 (Ibid, p, 349
90 (Ibid, p, 351
91 (Spanneut (M.S) , Tertullien et les 1° moralistes africains , p., 115
92 (Arnobe , Adversus nationes , I, 16 ,trad.H.Le Bonniec , Les Belles Lettres, Paris,1982
93 (Ibid
94 (Ibid, II, 73 ; VII, 50
95 (Ibid, I, 5
96 (André Mandouze , De la christianisation de Rome a l'âge d'or des peres de l'eglise , dans Rome et nous, p., 244
97) تنسب المانوية إلى مؤسسها ماني(Mani) أو مانس(Mânes) عند الإغريق و اللاتين ، وهو فارسي الأصل ادعى أنه أخ المسيح و زراواست(Zoroaste) و بوذا ، و تعد ديانته خاتمة لكل الديانات التي سبقته ،
Agostino (Trapé) , Saint Augustin , l'homme ,le pasteur , le mystique, edit., Fayard , Paris, 1988, p., 51
98 (Ibid, p., 47
99 (beata vita , 4 ,Trad.M.Baissey
100 (, op cit, p,189 De Agostino (T)
101) جوليان (شارل أندري) ، تاريخ شمال إفريقيا ، ص، 311
102 (Agostino (T) , op cit, p., 292 ; Petit (P) , Histoire générale de l'empire romain , t. III, le bas empire 285/395 , edit. Seuil Paris, 1974, p., 221
103) دودلي (ر.د.) ، حضارة روما ، ص، 387
104) نفسه
105 (Boyer (C) , Essais anciens et nouveaux sur Saint Augustin , Milan, 1970 , p., 15
106 (Petit (P), Histoire générale de l'empire romain, t, III, Le bas empire , p, 221